

البحث الاجتماعي ودوره في تنمية الوعي المجتمعي

- دراسة استعراضية -

الدكتورة/ بوحارة هناء الأستاذة/ مدودي نادية

جامعة سيدي بلعباس جامعة مستغانم

hana_bouhara@hotmail.fr

nadia_doct@yahoo.com

- ملخص الدراسة:

يعد البحث العلمي المحرك الأهم لجميع القطاعات المجتمعية السياسية، الاقتصادية والعسكرية وغيرها. فقد ارتبط البحث العلمي دوماً بالجامعات منذ نشأتها، حيث يشكل دوراً رئيسياً في رقي الأمم وتقدمها ولذا فإن الدول المختلفة تتسابق فيما بينها إلى وضع موازنات كبيرة لهذا البحث الذي يتمخض عن آفاق جديدة في عالم الصناعة والتكنولوجيا، الأمر الذي ينعكس إيجاباً في النهاية على إشباع حاجات الإنسان ورفاهيته وعلى متعة المجتمع وتقدمه.

والعلوم الاجتماعية كغيرها من العلوم تسعى إلى الكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية والأدوار التي يقوم بها الفرد داخل الجماعة، إضافة البحث في قضايا ومشكلات المجتمع في مجالات مختلفة، فهي تساهم بشكل بارز في توعية المجتمعات من خلال عملية التثقيف وترسيخ الوعي المجتمعي في مختلف مناحي الحياة، ما يسهل معالجة المشكلات وإدراك أهم المحفزات لظهورها.

- الكلمات المفتاحية: العلوم الاجتماعية - البحث الاجتماعي - الوعي المجتمعي

- مقدمة:

يشكل البحث العلمي دورا رئيسيا في رقي الأمم وتقدمها ولذا فإن الدول المختلفة تتسابق فيما بينها إلى وضع موازنات كبيرة لهذا البحث الذي يتمخض عن آفاق جديدة في عالم الصناعة والتكنولوجيا، الأمر الذي ينعكس إيجابا في النهاية على إشباع حاجات الإنسان ورفاهيته، وعلى متعة المجتمع وتقدمه، وبعبارة أخرى فإن البحث العلمي يعد المحرك الأهم لجميع القطاعات المجتمعية السياسية، الاقتصادية والعسكرية وغيرها، فلقد ارتبط البحث العلمي دوما بالجامعات منذ نشأتها، ولكن الاهتمام تزايد كثيرا بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة عدة عوامل أهمها: شيوع ما يسمى بثقافة البحث نظرا لتطور أدوار الجامعات ووظائفها، والتقدم التكنولوجي الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وعليه فإن البحث العلمي في مجمله هو ما يميز الجامعة الحديثة، فهو الذي يحدد ويطور ويجذب التميز إلى عالم الأكاديمية.

فبفضل البحث العلمي استطاعت بعض الدول النامية أن تحقق تقدما كبيرا وملحوظا، وكذا تنتقل من التخلف الذي كانت فيه إلى مصاف الدول المتقدمة، ومن أمثلة هذه الدول: كوريا الجنوبية، ماليزيا.. وغيرهما، حيث تعد هذه التجارب مشرفة للتقدم في الدول النامية عن طريق البحث العلمي

الجاد ودعّمه وممارسته على أوسع نطاق بشكل هادف ومنظم. والواقع أن البحث العلمي عموماً يعتبر معلماً رئيسياً من معالم الحياة المعاصرة، وخاصة في الجامعات لدرجة أنه يمكن القول بأنه لا جامعة بدون بحث علمي، لدوره الهام في تنمية المعرفة وتقديم ميادين الفكر والتوصل إلى الحلول والمشكلات المختلفة.

وبذلك عُدّ البحث العلمي ذلك العمل الممنهج الذي يهدف إلى إنتاج معارف جديدة أو تطوير معارف قائمة ترتبط بفهم الإنسان للظواهر المحيطة به والسيطرة على الطبيعة، إذن هو عمل منتج لكنه في الوقت نفسه يحتاج إلى أموال كثيرة وتجهيزات عصرية متطورة، ولهذا فلا بد من تحديث الآليات التي تحكم مسيرة البحث العلمي وعصرنتها، كما لا بد من قوانين مناسبة بعيدة عن الروتين وربط البحث العلمي بحاجات المجتمع وتسخيرها لتنفيذ خطط التنمية (كنعان، 2001، ص: 61).

وعليه فالجامعات تعد إحدى أهم مؤسسات المجتمع، فهي مركز إشعاع لكل جديد من الفكر والمعرفة وهي المنبر الذي ينطلق منه المفكرين والعلماء، ورواد الإصلاح والتطوير، هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي تؤثر في الجو الاجتماعي المحيط بها، وتتأثر به فهي المكان المناسب لحل الصعوبات والمشكلات التي يعاني منها المجتمع، لذا احتلت الجامعة مكانة بارزة بنشر المعارف وتطوير الموارد البشرية عبر العملية التعليمية والبحث العلمي والتطوير التقني التي تتم في معاملها ومختبراتها إلى مبتكرات ومخترعات تساهم في حل مشاكل المجتمعات. ولقد أكدت دراسة (شبانة 2002) و(طلبة 2003) على مدى أهمية البحث العلمي وعلى الخطوات التي لا بد منها للنهوض بواقع البحث العلمي في الجامعات لخدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فمن ضمنها العمل على إيجاد

كوادر جامعية تستطيع توفير الاحتياجات المادية والمعنوية لتنشيط حركة البحث العلمي في كافة مجالات الحياة (محسن، د.ت، ص:26).

أما إذا أردنا الحديث على العلوم الاجتماعية أو البحث الاجتماعي كأحد أنواع البحث العلمي فإن لهذا البحث مثله مثل غيره من البحوث مناهج علمية وتقنيات وأساليب تعطيه الصبغة العلمية الموضوعية إضافة إلى هدف وموضوع يركز على دراسته.

وفي ذات السياق يشير كل من "باريل ومورجان" (1989) في كتابهما "نماذج علم الاجتماع والتحليل المؤسسي" أن الطريق الخاص بباحثي العلوم الاجتماعية يعرض ويدرس الظواهر الاجتماعية بمجموعتين من الافتراضات الفلسفية الأساسية علم الوجود ونظرية المعرفة، حيث يشير الأنطولوجيا أو علم الوجود إلى افتراضاتنا حول كيفية رؤيتنا للعالم، أي هل يتكون العالم في معظمه من النظم الاجتماعية والتغيير المستمر. أما نظرية المعرفة فتشير إلى افتراضاتنا حول أفضل وسيلة لدراسة هذا العالم، أي هل يجب أن نستخدم نهجا موضوعيا أم نهجا غير موضوعي لدراسة الواقع الاجتماعي. وباستخدام هاتين المجموعتين من الافتراضات يمكننا أن نصف بحوث العلوم الاجتماعية على أنها تنتمي إلى واحدة من أربع فئات هي: نموذج إنساني جذري، نموذج بنيوي جذري، نموذج تفسيري ونموذج طائفي (باتشرجي، 2011).

من هذا المنطلق تعددت المواضيع التي تناولتها العلوم الاجتماعية كدراسات وبحوث حاولت من خلالها في ظل البحث العلمي الوصول إلى حلول لقضايا عالقة ومشكلات محيرة، ولعل من أبرز المواضيع التي أخذت اهتماما لا بأس به في البحث الاجتماعي هي مواضيع تدعيم وترسيخ الوعي بين أفراد المجتمع الواحد، حيث بحثت وكشفت وتعرفت على جوانب كل

موضوع من مواضيع التوعية المجتمعية ومن ثم تم الاستفادة منها والأخذ بنتائجها وتدعيم توصياتها. ولذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية التعرف على طبيعة البحث الاجتماعي، العلوم الاجتماعية وواقعها، إضافة إلى إبراز أهميتها، مع توضيح ماهية الوعي المجتمعي، وأبعاده، لنختم ببعض الدراسات التي تناولت قضايا الوعي التي مست المجتمع.

أولاً: طبيعة البحث الاجتماعي والعلوم الاجتماعية:

قبل أن نحدد معنى البحث الاجتماعي، سوف نحدد مفهوم البحث والبحث العلمي فيما يلي:

أ* **البحث:** البحث عموماً هو عملية منظمة للتوصل إلى حلول للمشكلات، أو إجابات عن تساؤلات تستخدم فيه أساليب في الاستقصاء والملاحظة مقبولة ومتعارف عليها بين الباحثين في مجال معين ويمكن أن تؤدي إلى معرفة جديدة (كنعان، 2001، ص:64).

ب* ما هو البحث العلمي:

تعددت وتنوعت التعاريف لمفهوم البحث العلمي نذكر أهمها فيما يلي:

يعرف **البحث العلمي** بعدة تعاريف كلها تصب في منحى واحد منها:

أن البحث العلمي "هو طريقة من طرق التفكير المنظم والدراسة الدقيقة التي تعتمد على وسائل موضوعية لجمع البيانات، وهي كذلك طريقة تؤدي إلى نتائج يمكن التثبت منها في أي وقت من الأوقات، كما يمكن تعميمها والخروج منها بقواعد علمية تسمح بتفسير الظاهرة موضع الدراسة وتتيح إمكانية التنبؤ بها وضبطها" (المنسي، 2000، ص ص:28-29).

هو كذلك حسب فان دالين" تلك المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وتحيرها" (المجيدل وآخرون، 2007، ص:113).

البحث العلمي أيضا هو مصطلح مترجم عن اللغة الانجليزية Scientific Research فالبحث العلمي يعتمد على الطريقة العلمية، هذه الأخيرة التي تعتمد على الأساليب المنظمة الموضوعية .

فهو "عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى (الباحث) من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى (موضوع البحث) بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث)، بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة تسمى (نتائج البحث) (الضبيان، 2012).

يعتبر البحث العلمي عملية اختراع واكتشاف وتحقق وإثبات، من خلال إحداث إضافات جديدة في ميادين المعرفة المختلفة أو تعديلات لمعارف قائمة بالتقصي المنظم القائم على التبحر والغوص في أعماق الحقيقة (البرغوثي وآخرون، 2007، ص:113).

مما سبق يمكننا أن نقول أن البحث العلمي هو ذلك النشاط والعملية الفكرية الممنهجة والمنظمة التي يتقصى الباحث من خلالها الحقيقة، ومحاولة إحداث إضافات أو تعديلات في مختلف ميادين المعرفة.

ج* البحث العلمي في العلوم الاجتماعية:

يشكل البحث العلمي أحد أهم الأسس لتحقيق التنمية الشاملة، فقد أصبحت الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى، فجميع دول العالم اليوم في سباق لاكتساب أكبر قدر ممكن من العلم باعتباره السبيل الوحيد لتحقيق التقدم والرفاهية، وكذلك اعتبر وظيفة أساسية وهامة يجب أن تحتل مكانة محورية في جميع السياسات الاقتصادية والاجتماعية.

ولعل أن الأهمية المتزايدة للعلوم والاجتماعية في العصر الحديث ترجع أساسا لكون موضوعها وهدفها هو الإنسان كفرد وككائن اجتماعي بماضيه وحاضره ومستقبله، مما أدى إلى تلهف أصحاب القرار في مختلف المجالات، على آراء وتحاليل الباحثين الاجتماعيين وخاصة ادعى هؤلاء لأنفسهم الموضوعية والعلمية وأثروا بحوثهم العملية بالمناهج الكمية المستقاة من العلوم الطبيعية بغية فرض مصداقيتهم العلمية في طرح الإشكاليات والحلول (حفوف، 2008، ص:20).

- ما هي العلوم الاجتماعية؟

إن مجال العلوم الاجتماعية هو العلاقات التي تظهر بين البشر في إطار تجمعاتهم الإنسانية، وكذا النشاط الاجتماعي للإنسان (والجماعات) عند تعامله مع البيئة الفيزيائية والحيوية كصانع ومنشئ للخيرات المادية، ومبدع ومصور لإيحاءاتها ودلائلها، وكمنتج نتاج، وكمؤثر ومتأثر، وكفاعل ومتفاعل مع بيئتها الحضارية والثقافية.

وحسب "قاموس العلوم الاجتماعية" فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية هي: "مجموع العلوم التي تدرس الإنسان داخل المجتمع، بحيث لا يمكن تصور إنسانا لوحده ولا مجتمع من دون بشر".

كما يرى "عاطف غيث" أن مصطلح العلوم الاجتماعية يطلق على أي نوع من الدراسة تهتم بالإنسان والمجتمع، إلا أن المصطلح يشير بمعناه

الدقيق أو الضيق إلى تطبيق المناهج العلمية لدراسة شبكة العلاقات الاجتماعية المعقدة وصور التنظيم التي تمكن الأفراد من العيش معا في مجتمع.

وحسب "عاطف غيث" فإن المصطلح انتشر في القرن التاسع عشر في إنجلترا عندما حاول البعض تطبيق المناهج العلمية عند دراسة الظواهر الاجتماعية، وظهر بعد ذلك في سنة 1857 ما عرف باسم "الرابطه الأمريكية للعلوم الاجتماعية"، والتي كانت أكثر تأثيرا من الرابطه الأولى.

هناك من يعرف أيضا العلوم الاجتماعية بأنها تلك العلوم التي تهتم بدراسة الحياة الاجتماعية للإنسان وتجعلها محورا للدراسة ومجالا للبحث، ونظرا لتعدد جوانب الحياة الاجتماعية وتشعبها فقد اختص كل علم من العلوم بدراسة جانب من الجوانب للوصول إلى فهم أشمل وأعمق لوقائع الحياة الاجتماعية.

تعرفها أيضا "دائرة المعارف الدولية" بأنها تلك العلوم التي تشتمل على المقالات المكرسة للمفاهيم والنظريات والمناهج بالإضافة إلى التراجم في الموضوعات الرئيسية التالية: الأنثروبولوجيا، الاقتصاد، الجغرافيا، التاريخ، القانون، السياسة، الطب النفسي، علم النفس، علم الاجتماع، الإحصاء (حفوف، 2008، ص:19).

وعليه ومما سبق يمكننا القول أن العلوم الاجتماعية هي ذلك الفرع العلمي الذي يهتم بدراسة قضايا المجتمع وكل ما يتصل بالفرد، وتشمل جملة العلوم الفرعية مثل: علم الاجتماع، علم النفس، الخدمة الاجتماعية، الاقتصاد... الخ.

د * واقع العلوم الاجتماعية في الوطن العربي:

لعل أن النهضة التنموية الشاملة في البلاد العربية بحاجة ماسة إلى العلوم الاجتماعية، ذلك أنها لا تقل أهمية عن باقي المجالات الأخرى والتي ترصد لها عادة الإمكانيات الضخمة دون نتيجة تذكر لا شيء سوى لعدم وجود قاعدة بشرية تؤمن بالعلم كقيمة وبالتفكير العلمي كأسلوب للحياة والذي يمكن للعلوم الاجتماعية خلقه وتنميته في الأوساط المجتمعية، وبالرغم من الأهمية البالغة للعلوم الاجتماعية في عملية التقدم والتطور، إلا أن وضعيتها تبقى جد مزرية في العديد من البلاد العربية فالوقائع تشير إلى وجود تشابه إلى حد بعيد في أزمة وعدم فعالية هذه العلوم، ويمكن خزل أزمتهما في ميزتين هما:

- أن العلوم الاجتماعية العربية غير قادرة على تقديم فهم صحيح للبيئة الاجتماعية.

- أن العلوم الاجتماعية العربية غير قادرة على مواكبة التقدم المعرفي الذي تشهده هذه العلوم.

إن سبب أزمة العلوم الاجتماعية العربية يعود لوجود العديد من المعوقات منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي موروث منذ زمن بعيد، ويمكن إيجازها في النقاط التالية: (لا يهم الدراسة التعرف على أزمة النظرية أو المنهج، أو لأزمة النمط المعرفي العربي، بل التعرف فقط على أهم خصائص العلوم الاجتماعية العربية التي قد تساهم في عدم فعاليتها) (المرجع السابق نفسه، ص:102).

هـ *واقع البحث العلمي الاجتماعي في الجزائر:

إذا كانت العديد من الآراء والاتجاهات تربط التنمية أساسا بالاعتبارات الاقتصادية، فإن الإنسان يظل من الناحية الافتراضية هو محور كل تنمية حقيقية، فهو وسيلتها الرئيسية كما هو هدفها في آخر المطاف بحيث ينبغي

أن تنصب على تأهيله وتمكينه من مختلف المقومات العلمية والعملية والاجتماعية والاقتصادية.

حيث تعتبر العديد من الأقطار العربية من ضمن أكثر الأقطار حاجة إلى تطوير البحث العلمي والمراهنه عليه وتنميته، وذلك بالنظر إلى مجموعة من الاختلالات التي تعترى هذا القطاع الحيوي، فالاعتمادات المالية المرصودة له داخل عدد من هذه الدول في 2,3%، تؤثر بشكل سلبي على البنيات التحتية المرتبطة بهذا الشأن، حيث تظل في مجملها تقليدية وغير كافية.

فلقد اتضح جليا أن الثورة العلمية التكنولوجية التي يعيشها العالم اليوم هي أساس التقدم الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتطورة وأن المستقبل للدول التي تستعمل البحث العلمي المنهجي والمنظم وكذا البحث التطبيقي لخدمة تقدم وازدهار شعوبها، على غرار هذه الدول تسعى الجزائر جاهدة لتطوير قدراتها في ميدان البحث العلمي والتطوير التكنولوجي عن طريق هيكلة منظومة البحث العلمي وذلك لاستدراك التأخر المسجل ومواجهة مختلف التحديات الناجمة عن ظاهرة العولمة.

وتجدر الإشارة إلى أن أسباب هذا التأخر ترجع بالدرجة الأولى إلى عدم الاستقرار الذي يعتبر نتيجة منطقية للتغيرات العديدة التي طرأت على الأجهزة المسيرة والمنفذة للسياسة الوطنية من حيث الصلاحيات والتنظيم، الأمر الذي جعل عملية التكفل بمنظومة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي تمر بمراحل متذبذبة وأثر ذلك سلبا على الظروف المادية والمعنوية التي شهدتها هذه المنظومة منذ استقلال البلاد، كما أن هناك غياب تطور واضح وشامل عن أهمية البحث العلمي والتطوير التكنولوجي من أجل بناء وإرساء القواعد الأساسية اللازمة لمجتمع عصري، أضف إلى

ذلك تبدد وتشتت يشمل الكفاءات البشرية مما يتسبب في تفكيك عملية التراكم المعرفي الذي لا مكان بدونه لأي تطور أو تقدم، زيادة إلى تدهور الظروف المادية لأنشطة البحث (يوسفي حدة، د.ت).

و * ما بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية:

يميز بعض العلماء بين العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، في حين أن البعض الآخر لا يرى ذلك، فنحن إزاء موقفين مختلفين:

* الموقف الأول: يرى أن الفصل بينهما غير ذي جدوى لأنه لا يمكن تصور إنسان خارج المجتمع ولا يوجد مجتمع من دون بشر، ومن هؤلاء "كلود ليفي سترأوس Claud levi-strouss" الذي يرى بأن هناك ترادف بينهما، فالتمييز بينهما يكون من الناحية التطبيقية فقط، فالعلوم الاجتماعية تهتم بالمظهر الملموس والمهني للنشاط البشري، في حين أن العلوم الإنسانية تتخذ موقعها خارج أي مجتمع بعينه. (أي أنها تدرس المجتمع بغض النظر على وجوده الواقعي في أي رقعة جغرافية ما) وهي تتبع هنا سبيل العلوم الطبيعية، التي تتجاوز المظاهر Apparences في مقارباتها للواقع، هادفة بذلك فهم العالم.

* أما أصحاب الموقف الثاني: فيرون أن العلوم الإنسانية تدرس الإنسان من حيث كونه إنسانا بغض النظر عن انتمائه لمجتمع بعينه، في حين أن العلوم الاجتماعية تدرس الإنسان داخل المجتمع فتركز على مكانته وأدواره المختلفة داخل المجتمع.

* ويذهب آخرون إلى أن التمييز بينها يكون من ناحيتين:

(1) إما من ناحية كونها "صفة" فالعلوم هي إنسانية واجتماعية.

(2) أو من ناحية كونهما "اسمين" فهناك علوم الإنسان وعلوم المجتمع.

وبشكل عام، فإن التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ضرورة منهجية لتحديد المجالات العلمية التي تدرس الإنسان من حيث أصوله وثقافته وإنجازاته، في حين أن العلوم الاجتماعية تضم كل الفروع العلمية التي تدرس نشاطات الإنسان داخل المجتمع سواء تعلق الأمر بالأنشطة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو التربوية (زمام، أبريل 2011).

كما لا يفوتنا التوقف لتوضيح ضرورة استخدام مصطلح (العلوم الإنسانية Human sciences) فالكثيرون وعلى رأسهم (كلود ليفي ستراوس) يطابقون بين مصطلحي Human science و Social sciences ولكن مصطلح Human sc الذي بدأ يسود في السنوات الأخيرة يبدو أصوب لأن الإنسان وإن كان لا يتواجد إلا في صورة جمعية فإنه الموضوع المحوري والوحدة النهائية التي تترد إليها الدراسة في كل حال على أن التقاليد الأنجلوسكسونية، وبجذور يعود لعصر النهضة وما قبله تضع الإنسانيات ليدل على الآداب والفنون والمسائل المعيارية والقيمية واتجاهات لتفسير النصوص... الخ وكلها مسائل مفارقة للعلم ولا ينبغي أن تختلط به. وهذا جعلهم يفضلون مصطلح Social sc للدلالة على ما ينتمي لعلم الاجتماع بالذات.

فستستخدم الترجمة الحرفية لمصطلح Social sciences أي (العلوم الاجتماعية) للدلالة على مجمل العلوم الإنسانية ونستخدم أيضا مصطلح (العلوم الاجتماعية) للدلالة على ما ينتمي لعلم الاجتماع أي كترجمة للمصطلح Sociological، في خلط ينبغي تجنبه عن طريق استخدام مصطلح (العلوم الإنسانية) وقصر مصطلح (العلوم الاجتماعية) على علم الاجتماع وفروعه (الخولي، 1990، ص ص: 9-10).

ر* أهمية البحث العلمي الاجتماعي:

يلعب البحث العلمي الاجتماعي دورا رئيسيا في رقي الأمم وتقدمها، حيث تتسابق الدول المختلفة على وضع الميزانيات الكبيرة لهذا البحث الذي يتمخض في العادة عن آفاق جديدة في عالم الصناعة والتكنولوجيا، الأمر الذي ينعكس إيجابا على الإنسان ورفاهيته من ناحية وتقدم المجتمع من ناحية أخرى، فالبحث العلمي يعد المحرك لجميع القطاعات المجتمعية التربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها.. وعموما تكمن أهميته في كونه: * النواة الأساسية للتطور وخلق التقنيات الحديثة والتي تساعد على خلق منافع للإنسان.

* يساهم البحث العلمي في تحريك الموارد المتاحة بكفاءة عالية قصد تنميتها والاستفادة منها في مجالات علمية أخرى مستقبلا. * تتجلى أهمية البحث العلمي في كونه يشمل جميع الجوانب باختلاف حجمها وأهميتها وهو ما يؤدي إلى الحصول على أحسن النتائج، وذلك عن طريق التحليل والتدقيق (جفال، 2011، ص ص: 178-179).

* كذلك ترقية الحياة العلمية لكل من الطالب والأستاذ.

* تحقيق التراكم المعرفي في مختلف العلوم، هذا ما يؤدي إلى تطور العلوم وتقدمها (حفوف، 2008، ص: 82).

واعتبارا من ذلك فإن وظيفة وأهمية البحث العلمي تبرز بجلاء في سعيه إلى تطوير المجتمع وحل مشكلاته، حيث يتوقف ازدهار المجتمعات وتقدمها على منجزات العلم والبحث العلمي، ومن هنا رصدت الأموال والميزانيات للبحث في الدول المتقدمة، فعلى الرغم من هذه الأهمية للبحث العلمي إلا أنه لم يلقى الاهتمام الكافي من الأساتذة أنفسهم، حيث مازالوا ينظرون إلى التدريس على أنه الهم الأول لهم، وليست القضية مقتصرة

على أساتذة الجامعات العربية، وإنما يعاني منها أساتذة الجامعات الأجنبية، وقد أكد هذه النتيجة كل من (فلتون وترو) حيث ذكرا أن معظم أساتذة الجامعات الأمريكية لا يعدون باحثين وهم عادة يعدون أنفسهم مدرسين ويقومون بشكل عام بأعمال التدريس (العمامرة، 2008، ص:20).

ثانيا: ماهية الوعي المجتمعي:

أ- ما هو الوعي:

اختلفت المفاهيم التي حدها الفلاسفة للوعي، كل حسب مجاله فمنهم من يعرفه باليقظة مقابل الغيبوبة، وبعضهم بالشعور من غيره، إلا أن دلالة العامة تتجلى في ممارسة نشاط معين بإدراك تام له وبالتالي فكل نشاط بعيد عن الإدراك فهو بعيد عن الوعي. (شتاتحة، 2010/2011).

من جهة أخرى يوجد حديث مشترك حسب رأي الباحثين بين الفلسفة وعلم النفس حول مصطلح الوعي بالرغم من وجود اختلافات متعددة بينهما في المعنى فمثلا حدد:

"جون لوك" الوعي بأنه "إدراك ما يخطر بعقل الإنسان، وهو انعكاس لملاحظات الشخص، ومن صور الوعي الأفكار المدركة والتفكير والشكوك والمسببات والمعرفة وتعلم القضايا الذهنية في أي وقت.

أما "توماس ريد" فيرى أن الوعي هو الحالة الراهنة للعقل (الرويلي، 1428/1429).

وهو أيضا ما تشير إليه سوزان بلاك مور (2016) في مؤلفها (الوعي) أن لهذا المفهوم ليس هناك تعريف متفق عليه بشكل عام.

إذن مما سبق يمكننا أن نقول أن الوعي هو إدراك الفرد للقضايا والمشكلات ومحاولة حلها. ويبقى للوعي أشكال عدة تتعدد بتعدد مكونات البيئة الفوقية للمجتمع ومحاولة حلها، وتتعدد مجالات الحياة الاجتماعية للفرد والطبقة والمجتمع المحدد من ناحية أخرى. وبعض هذه الأشكال يرتبط في شكله أو مضمونه بمراحل تاريخية سابقة كاللغة والثقافة الشعبية وبعضها تفرزه المرحلة التاريخية المحددة، وكل شكل من هذه الأشكال يضم أفكارا وتغييرات ومؤسسات تعبر عن رؤية الشكل. (الرويلي، 1428/1429).

إذ يعد الوعي الاجتماعي كأحد أبرز أشكال الوعي يحمل في طياته الكثير من الأشكال الفرعية.

ب- ما هو الوعي المجتمعي/ الاجتماعي:

يمثل الوعي عند العديد من علماء النفس الحالة العقلية التي يتميز بها الإنسان بملكات المحاكمة المنطقية، الذاتية (الإحساس بالذات) والإدراك الذاتي والحالة الشعورية والحكمة أو العقلانية والقدرة على الإدراك الحسي للعلاقة بين الكيان الشخصي والمحيط الطبيعي له.

من منطلق الوعي ومفهومه العام يمكننا تحديد مفهوم الوعي الاجتماعي فهو مشاركة الوعي المشترك في المجتمع.

هو أيضا الوعي للمشكلات المختلفة التي تواجهها المجتمعات والتجمعات بصفة يومية. (طه، 2015).

والوعي كالتغير الاجتماعي ليس له مرحلة صفرية مطلقة، فلا يكمن القطع بعدم وجود تغير اجتماعي كما لا يمكن القطع بعدم وجود الوعي، بل هي حالة افتراضية وهمية غير مدرجة، لكن ما قد يختلف ويتفاوت هو مستوى الوعي أو درجته.

كذلك هو " مجموع المشتركات المعرفية المتواجدة في ذلك المجتمع". وبالتالي إذا أردنا تطوير الوعي الجمعي لأي مجتمع فهذا يعني أن هذا المجتمع عليه أن يرفع نسب القراءة للكتب الثقافية العامة، حتى يزيد من نسب " المشتركات المعرفية الراقية" خاصته وبالتالي يتطور - وعي ذلك المجتمع - الجمعي ويصبح أقدر على إدارة أموره بشكل أفضل وأقدر على الإبداع والتطور والتنمية... الخ (شتاتحة، 2010/2011).

وبالنظر لما سبق يمكن القول أن مفهوم الوعي الاجتماعي يتشكل من مفهومين لكل له مدلوله الخاص به. هما (الوعي) و(الاجتماعي)، حيث نجد أن أول من بحث في هذا المفهوم هو (كارل ماركس) في دراسته عن الطبقة الاجتماعية والوعي الطبقي، وحول مفهوم الوعي الاجتماعي يرى (أوسوفسكي) "أنه مجموعة المفاهيم والتصورات والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية معينة. والتي تظهر في البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم يتبناها الآخرون لاقتناعهم بأنها تعبر عن مواقفهم" (طه، 2015، ص:76).

إذن من خلال عرضنا لهذه المفاهيم يمكن أن نستنتج بعض النقاط سنركز فيها على مفهوم موحد للوعي الاجتماعي لدى الأفراد وكيف يمكن أن يتكون هذا الوعي في المجتمع الواحد، ومنه فالوعي الاجتماعي هو:

- إدراك للواقع الذي تعيش فيه الجماعة.
- هو مجموعة من المعتقدات والتصورات الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية.

- هو نتاج لحركة دينامية تفاعلية يندمج فيها الفردي في الاجتماعي.
- هو أيضا محصلة تفاعل الأشخاص في إطار واقع اجتماعي.

ج- أبعاد الوعي الاجتماعي:

انطلاقاً من أن الوعي الاجتماعي هو تلك المنظومة من الأفكار والنظريات لطبقات حول مجمل العلاقات الاجتماعية القائمة، فإنه تكاد تتفق الدراسات التي اهتمت بموضوع الوعي الاجتماعي وبأنماطه النوعية سواء كانت طبقية أو سياسية و تعليمية ومن أبعاده نجد:

- البعد الأول هو وجود اتجاه وموقف ايجابي وسليبي نحو القضية أو الموضوع المراد استطلاع الوعي بشأنه وهو ما يسمى البعد النفسي الاجتماعي في الوعي.

- أما البعد الثاني فيقوم على إدراك القضية أو الموضوع من خلال تفسيره وإبراز ايجابياته وسلبياته، وهو ما يسمى بالبعد العلمي للوعي.

- البعد الثالث ويقوم على تقديم تصور بديل لواقع الراهن لهذه القضية أو ذلك الموضوع الذي يستطلع الوعي بشأنه وهذا ما يعبر عنه بالوعي الايديولوجي. (طه، 2015، ص:77).

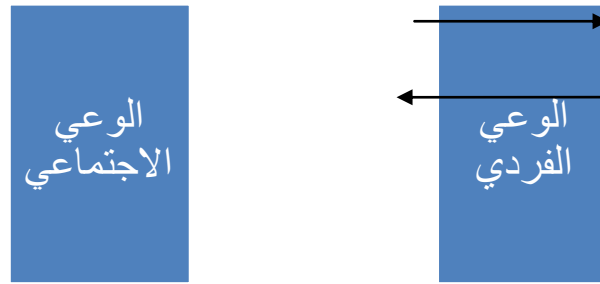
د- بين الوعي الفردي والوعي الاجتماعي:

توجد علاقة واضحة بين الوعي الفردي والوعي الاجتماعي، فالأول يستند إلى الإنسان في الجوهر كائن مدرك لتصرفاته المتعددة، حيث يرتبط الوعي الفردي بالوجود المحدد للفرد في جماعة وطبقة ومجتمع معين. إن الوعي الفردي ظاهرة اجتماعية ذات محتوى اجتماعي يتضمن الوجود الشخصي للفرد والطبقة التي ينتمي إليها. أما الوعي الجمعي فهو في مجموعة يمكن وصفه بأنه مجموع التوجهات العامة الخادمة لمنظومة الإنسان.

زيادة على ما سبق فإن العلاقة بين الوعي الفردي والوعي الاجتماعي هي علاقة فعالة وانتقائية فبعض الأفكار التي نشأت في وعي بعض الأفراد

تتحول مرة واحدة إلى وعي جماعي، كما أن هذا الأخير يؤثر على الوعي الفردي.

وبذلك يمكن القول أن نوع العلاقة بينهما هي علاقة تبادلية تفاعلية. والشكل التالي يوضح ذلك أكثر:



شكل رقم (01) يوضح العلاقة التبادلية بين الوعي الفردي والوعي الاجتماعي

- المصدر: (من إعداد الباحثين)

هـ - بعض البحوث الاجتماعية التي تناولت قضايا الوعي الاجتماعي: أهميتها/ انشغالاتها

تختلف العلوم الطبيعية عن العلوم الاجتماعية في العديد من الجوانب، فالأولى دقيقة ومحددة جدا ومستقلة عن الفرد أما الثانية وهي مصب حديثنا عنها فهي أقل دقة وتحديدًا وأحيانًا أكثر غموضًا، فعلى سبيل المثال إذا كنت تقوم بقياس سعادة الشخص من خلال نفس أداة القياس فإنك قد تجد أن نفس الشخص يكون أكثر أو أقل سعادة (أو حزين) في أيام مختلفة أو في بعض الأحيان في مختلف الأوقات. (باتشيرجي، 2015)

إن هذه هي طبيعة البحوث والدراسات الاجتماعية فهي نسبية وغير مطلقة ومتغيرة غير ثابتة، إضافة إلى ذلك لها مواضيع خاصة تتناولها

ذات طابع اجتماعي أو نفسي تتعلق بدرجة أولى بالفرد والمجتمع اعتباراً من أن الأول هو جزء من الثاني.

فوظيفة البحث العلمي بشكل عام والبحث الاجتماعي بشكل خاص هي سعيه إلى تطوير المجتمع وحل مشكلاته، حيث يتوقف ازدهار المجتمعات وتقدمها على منجزات العلم والبحث العلمي. إضافة إلى ذلك يساهم البحث الاجتماعي في رصد المشكلات الاجتماعية ومحاولة إيجاد حلول لها من منطلقات علمية بحتة وباستخدام أساليب ومناهج بحثية يسعى الباحث من خلالها للكشف على أسباب الظاهرة وتوضيح تداعياتها، إضافة إلى وصفها وتفسيرها. من جهة أخرى يساهم البحث الاجتماعي أيضاً في إزالة الغموض عن عديد القضايا والمشكلات وخلق الوعي بأشكاله المختلفة للأفراد داخل المجتمع.

فكثير من الدراسات والبحوث الاجتماعية كان لها الفضل في ترسيخ وتنمية الوعي الفردي المجتمعي من مثل: الدراسات الاجتماعية التي تناولت دراسة الوعي البيئي والتنقيف البيئي - الدراسات التي تناولت الوعي والتنقيف الصحي - الدراسات التي تناولت الوعي الديني - الدراسات التي تناولت الوعي السياسي - أيضاً الدراسات التي تناولت مشكلات المرأة والوعي الحقوقي... الخ.

وفيما يلي سوف نستطرد بعض من البحوث والدراسات الاجتماعية التي تناولت قضايا متنوعة من الوعي المجتمعي منها العربية وأخرى المحلية، فقط لإبراز دور هذه البحوث في تنمية الفرد وتطويره ومساهمتها في إيجاد الحلول أو التخفيف من مشكلاته:

- دراسة (حسين خراعي 2001) التي هدفت إلى التعرف على دور التلفزيون في تنمية الوعي الصحي وذلك باستخدام المنهج الوصفي على

عينة من المفردات للمجتمع الأردني، حيث توصلت الدراسة إلى أن التلفزيون مصدر أساسي في تزويدهم بالمعلومات الصحيحة، كما يعتبر وسيلة فاعلة في نشر الوعي الصحي.

- دراسة (عبد الحكيم عبد الله مكارم 2003) حيث هدفت إلى التعرف على الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في تكوين الوعي السياسي لدى الشباب الجامعي اليمني وعلاقة المعرفة السياسية بالإدراك السياسي والسلوك السياسي باستخدام منهج المسح والتطبيق. وقد توصلت الدراسة إلى أن المثقف الجامعي يهتم بمتابعة القضايا السياسية عربياً ومحلياً ودولياً. وأشارت إلى تقدم القضايا السياسية العربية عن غيرها من القضايا. حيث توضح الدراسة أنه يمكن الاستفادة من النتائج في التعرف على الأبعاد المختلفة لمفهوم الشباب ومفهوم الوعي السياسي وغيرها من المفاهيم الأساسية التي تناولتها الدراسة (حلس ومهدي، 2010).

من الدراستين السابقتين نلاحظ أن الكثير من الدراسات تمثل محل استفادة للمجتمع وأفراده في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، إذ هناك أيضاً دراسات اجتماعية تناولت قضايا المرأة ووعيها بحقوقها مثل:

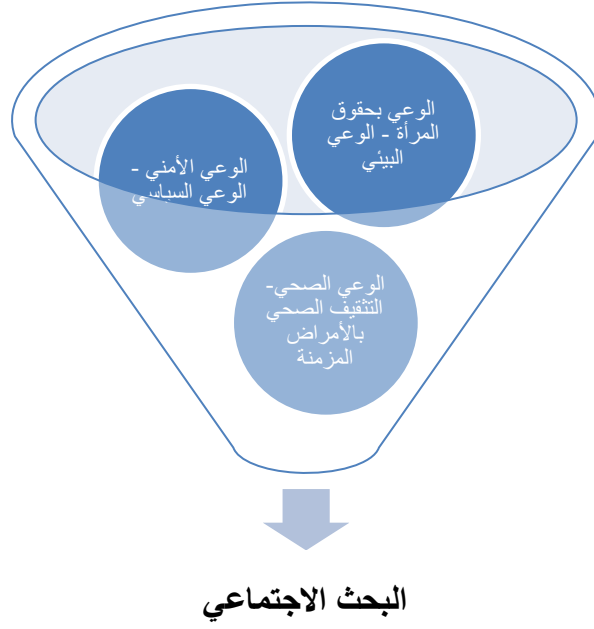
- دراسة (الرويلي 1428هـ) التي هدفت إلى الكشف عن العوامل المؤثرة بوعي الشابة السعودية بحقوقها، حيث طبقت الدراسة على عينة عشوائية من طالبات جامعة الملك سعود. ومنه توصلت إلى أن وعي الشابة السعودية بحقوقها بشكل مستوى متدني.

- دراسة (جان 1419هـ) التي تمحورت على مدى وعي الشاب الجامعي بأدوارهم الاجتماعية على عينة (355) طالبة وطالبة، من أهم نتائج الدراسة: وجود اختلاف في شدة وعي الشاب الجامعي بأدوارهم الاجتماعية

تجاه أسرهم، أيضا كشفت الدراسة على وجود اختلاف في درجة شدة وعي الشباب بأدوارهم الاجتماعية تجاه أصدقائهم. وغيرها من الدراسات الاجتماعية التي أولت اهتمام بدراسة الوعي الاجتماعي باختلاف أشكاله والتي كانت كنقطة مهمة لتنمية وتطوير الفكر الفردي والإدراك الجمعي.

- استنتاج عام:

إن المساهمة التي تقدمها البحوث والدراسات الاجتماعية في التوعية بالقضايا الاجتماعية و معالجة الكثير من الظواهر النفس اجتماعية، والتي تظهر غالبا وثيقة الصلة بالفرد تمثل إضافة مهمة للبحث العلمي الاجتماعي في مساهمته الجادة لتطوير وتنمية المجتمع. فمنذ تطور البحث العلمي الاجتماعي وبعتماده على المناهج العلمية والأساليب والتقنيات أخذ منحى جدي وبارز في دراسة القضايا والمشكلات الاجتماعية، استفاد من نتائجها الفرد، المؤسسات المهنية، والهيئات باختلاف مجال تخصصها صحية وإعلامية، وحتى الأسرة كمؤسسة اجتماعية..الخ. كما تظل التوصيات التي تقترحها بمثابة المحفز للتعرف ودراسة مواضيع وقضايا تهتم المجتمع بدرجة أولى. من هنا يمكننا القول أنه لا وجود لتطور مجتمع دون بحث علمي موضوعي.



شكل رقم (02) يوضح أهمية البحث الاجتماعي في تنمية الوعي المجتمعي

- المصدر: (من إعداد الباحثين)

- قائمة المراجع:

- 1- شتاتحة، أم الخير، (2010/2011). زيارة الأضرحة وأثرها في إعادة تشكّل الوعي الاجتماعي. رسالة ماجستير في علم الاجتماع. جامعة ورقلة (الجزائر).
- 2- سوزان، بلاك مور. (2016). الوعي. (المترجم: مصطفى محمد فؤاد). (ط.1). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- 3- طه، عبير عثمان الحسن. (2015). دور الصحافة في نشر الوعي الاجتماعي لمكافحة الجريمة. رسالة ماجستير في علوم الاتصال، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
- 4- حلس، موسى عبد الرحيم، مهدي، ناصر علي. (2010). دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني. سلسلة العلوم الإنسانية. 12(2). ص ص 135-180.
- 5- الرويلي، نورة بنت مفلح. (1428/1429). العوامل المؤثرة على وعي الشابة السعودية بحقوقها. رسالة ماجستير في علم الاجتماع. المملكة العربية السعودية. جامعة الملك سعود.
- 6- باتشرجي، أنول. (2015). بحوث العلوم الاجتماعية: المبادئ والمناهج والتقنيات. (المترجم: ناصر آل حيان). (ط.2). عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.
- 7- أحمد علي كنعان، "البحث العلمي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق"، مجلة جامعة دمشق، العدد 4 (دمشق، 2001).
- 8- منتهى عبد الزهرة محسن، "الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في جامعة بغداد من وجهة نظر التدريسيين"، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 32 (كلية لتربية، د.ت) الجامعة المستنصرية.

- 9- محمود عبد الحليم المنسي(2000)، مناهج البحث العلمي، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000).
- 10- عبد الله المجيدل وآخرون، "معوقات البحث العلمي في كليات التربية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية"، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+2 (دمشق، 2010).
- 11- انتصار سالم الضبيان، "معوقات البحث العلمي"، (لجنة البحث العلمي بقسم علم النفس، 2012)، كلية التربية.
- 12- عماد البرغوثي وآخرون، "مشكلات البحث العلمي في العالم العربي"، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 2 (فلسطين، 2007).
- 13- عبد الحميد جفال، "معوقات البحث العلمي في الجزائر: واقع وآفاق"، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 28 (الجزائر، 2011)، ص 178-179.
- 14- فتيحة ححوف، "معوقات الباحث الاجتماعي في الجامعة الجزائرية من وجهة نظر الأساتذة الجامعيين"، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، الجزائر، 2008.
- 15- محمد حسن العمارة وآخرون، "البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسراء الخاصة"، مجلة دمشق، العدد 2 (دمشق، 2008)، ص 300.
- 15- يوسف حدة، معوقات الاعتماد على نتائج البحوث النفسية والاجتماعية في اتخاذ القرار ووضع السياسات في الجزائر، <http://manifest.univouargla.dz/index.php/seminaires/arc>

hive/facult%C3%A9-des-sciences-sociales-et-
.sciences-humaines/70-

16- نور الدين زمام، مدلول العلوم الاجتماعية، تاريخ النشر: 04 أبريل
2011 الساعة: 11:43،

http://www.veecos.net/portal/index.php?option=com_content&view=article&id=5889:2011-04-04-11-02-41&catid=24:sceintific-articles&Itemid=21

17- يمنى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنياتها وإمكانية حلها،
(القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1990).